المُلخَّص

(الأيديولوجيا) هي مجموعة من الأفكار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها التي تُشكِّلُ نظاماً يعكس علاقات المجتمع البشري فيما بينه، والفن هو أكثر طريقة يمكن للإنسان أن يُعبرَ من خلالها عن وجهة نظره بالأعمال التي يقدمها. ولا شك أنَّ الفنانَ يفوق أيَّ إنسانٍ في قدرته على استيعاب الكثير من المؤثرات الخارجية التي تؤثر في شخصيته سلباً أو إيجاباً، وهو عادة ما يعكس هذه المؤثرات بصورة أو بأخرى في أعماله الفنية. ومنذ تسعينيات القرن التاسع عشر، ظهرت ردود أفعال ضد اهتمام الفنانين الواقعيين بالموضوعات القومية، وذلك سعياً إلى النهوض بالحالة الإبداعية التي استمرت حتى عشرينيات القرن العشرين، فالفنانون الذين عاصروا فترة ما قبل الثورة البلشفية عام (1917)م. كانت لديهم قناعة بحرية التعبير عن الموضوعات وكذلك حرية التشكيل والرؤى الفنية، وبعكس ما أصبح بعد قيام الثورة، التي أسهمت بتوجهاتها الفكرية بالتزام الفنان في خدمة تلك الأفكار، لأنها كانت أقرب إلى حواس الشعب وعواطفه ووجدانه، حيث استطاع البلاشفة تغيير القيم الفنية التي كانت سائدة في روسيا نحو الواقعية الاشتراكية، والتي نادت بالأفكار الثورية. وهكذا فإن الأعمال الفنية المطبوعة في روسيا والاتحاد السوفييتي، قد اجتازت مراحل من التطور الفكري لا تخلو من الالتزام بالرغم من تأثر الفنان بالاتجاهات الفكرية الغربية الحديثة، حيث أسهم الالتزام بمبادئ الثورة البلشفية في إبداع أعماله الفنية التشكيلية خدمة للأيديولوجيا السائدة، وأصبح المعيار الجمالي الجديد في النشاط الفني السوفييتي يُقدّر في طلاقة التعبير من أجل الوصول إلى الغرض المُراد من العمل، عبر أشكال فنية مستندة إلى موضوعات لا تخلو من قيم جمالية بالرغم من التقييد الذي عاشه الفنان عبر نصف قرنٍ من الزمن.

الكلمات المفتاحية: الأيديولوجيا، الإبداع، الحفر والطباعة، الواقعية الاشتراكية، الاتحاد السوفييتي، روسيا، الفن التشكيلي، القيم الجمالية